مناقشات

«رجال محاصرون» .. أيضا

تتعلق المسرحية ، وتأخذ ، للوهلة الاولى ، ضخامة غريبة ، يأبى الكاتب الا ان يظهرها بوضوح في جميع ابطالها ، كلهم متطرفون في ارائهم ، ولا مجال للقاء . منيب ، فنان اناني يهمه ان ينهي كتابه ذا الصفحات الثلاثمئة ، حتى نزوله الى ميدان الاحداث يبدو مائعا ، مثيرا للشفقة ، وللسخط احيانا . خديجة ، الضحية ، الواعية بشكل مرعب ، الفيلسوفة ، الثائرة بعنف يأبى اية مساومة ، تتركز حولها الاضواء لثورتها ضد انظمة القرية وتقاليدها . ابراهيم ، الثائر ايضا ، المعاني تمزقا هائلا يشله ، فيقف عاجزا عن مجابهة الواقع الذي سعى اليه ، شاب مثقف ، متمدن ، يطلب منه ذبح اخته لانها آمنت بما لقنها اياه : حرية الانسان . اما بقية الاشخاص فتتركهم الى حين ، لان حركاتهم انتمائية ، ثانوية ، كما اراد الكاتب .

هناك ثورة ، واذا تساءل احد منا عن سبب هذه الثورة ، فان المسرحية تعطينا جوابا منذ البداية ، يختلف عن الجواب الذي يحشره الكاتب في النهاية . انه « عبودية المرأة » في المجتمع القروي ، تروي بداية المسرحية . وانه « استغلال الفلاحين » في المجتمع الاقطاعي ، كما يريد الكاتب .

اذا كان الكاتب يريد ان يسلط الاضواء على مفهوم الشرف ،والوصم والسمعة ، في المجتمع القروي ، فانه للاسف لم يعطينا سوى صورة عن جشع بعض المستغلين : حسين ، والشيخ منصور . لولا جشع الاثنين لما ماتت خديجة ، فكيف رضيت بالموت !؟

« حسين : سيدبر امرها سعيد بك .. ينبغي ان نبقى اقوياء امام الضيعة .. لو تهاونا مع خديجة ضاعت السندات كلها ..

ابراهيم : لماذا لم تقل هذا من البدء يا اخي . أفما كان اوضح وأيسر على الفهم لو اننا تخلينا عن هذه الالفاظ الكبيرة ، الشرف والعرض والسمعة ..

حسين : عندما لن نقاوم نساءنا ، فاننا لن نستطيع ان نقف في وجه اصغر صعلوك في القرية . ولا تنس انك واحد منا ، من الذين سيتنفعون من هذه السندات . فلو رجعت الارض الى اصحابها ، سوف ترجع فلاحا صغيرا ، تعمل في الطين معنا ، ولن ترى الجامعة ولا الشام في حياتك . ولذلك ليس هناك سوى هذا الحل .. عليها ان تجبر حبيبها على الزواج منها حالا . »

هذا الحديث يفتح بابا لتساؤلات عديدة ، ويطرح موضوع المسرحية كلها بين هذه التساؤلات . ترى هل من مبرر للثورة ؟ هل من مبرر لموقف ابراهيم ، المثقف الواعي ، هذا الموقف الرخو من قضية ذبح اخته ، بعد ان عرف انها لن تموت الا لاطماع رخيصة ؟ هذه أسئلة كان بودي لو اجاب عليها الكاتب في مسرحيته ، لكفانا اذن عناء هذا الحديث الغير مستساغ حتما .

معقولية الثورة ، هذا ماسوف نبحث عنه . القضية ، خدعة في الاساس ، عرض ، شرف ، سمعة ، كلها اشياء لاتهم القتلة . « ثارات الرجال ياعرب للرجال .. » لا مبرر لها اطلاقا ، كما بين ذلك حسين ، القاتل ، نفسه ، ثم ان ثورة خديجة نفسها ، وابراهيم ايضا ، ثورة ممسوخة تفقد أي طابع انساني اراد ان يطبعها الكاتب به . لا اعلم كيف يفكر ابراهيم اولا بالثورة لتحرير المرأة ، وهو الذي يعيش على ارزاق الفلاحين ، بما يمتصه حسين بسنداته . ولا اعلم كيف تموت خديجة في سبيل ذلك ، وقد توصلت اليه بما سرقته من الفقراء . كيف يريد ابراهيم وخديجة ، المثقفان ، الواعيان ، من مجتمع بدائي تقريبا ، ان يفهم معنى حرية المرأة ، قبل ان يفهم حريته ، وقبل ان يتحرر من ربقة الاستغلال ، ربقة ابراهيم وخديجة وشركائهم في سلب الفلاحين ؟

هنا ، لو ان الكاتب اظهر هذين الثائرين ، اللذين يريدان ان يكونا انسانين ، في انسانية نهلة ، مثلا ، لما حدث شيء من هذا التناحر الاهوج ، بين مسرحية فرضت في البداية مشكلتها ، ثم تدخل الكاتب في الفصول الاخيرة ، فاخترع قصة « سندات الدين » واستغلال بعض الناس لجهود الفلاحين . فهو بهذا ابان بانه تخلى عن دعوته الى الحرية ،واقصد بها حرية المرأة ، الى حرية الفلاحين من عبودية الاقطاعيين والمستغلين . فكان ان افلت من يده دعوة جميلة جدا ، جدا لو لم يتركها .

واما ابراهيم ، وهو الذي عرف في اي سبيل ستذبح اخته ، فهل من مبرر لهربه ؟ الا يدل موقفه « الغير واعي » هذا على انه قد فقد الامل رغما عنه، وبارادة الكاتب ، لا بارادته ؟ الهزيمة لا مبرر لها ، بعد ان تبين له ان اعداءه ليسوا سوى شرذمة من المحتالين ، لايبغون من ذلك سوى فائدة مادية ، لا صلة لها بالشرف والعرض .

مع ذلك لايريد الكاتب الا ان ينحت هذا الصخر ، وبازميل مثلوم ، أفقد التمثال شيئا من معقولية ، واكسبه بعض الفقرات المكسورة ،واخرى ملتوية . لسنا نفهم كيف تقول خديجة : « ها .. وهل كانت لي اناقة حقا ، انا ابنة القرية ؟ كفاك اوهاما تطعم بها غرورك وكبرياءك .. انا لم اكن في احد الايام الا خديجة بنت السيد صالح.. ايه .. ربما كنت ازيد في اناقتي كي انسيك قليلا « حقيقتي » .. » كان هذه الحقيقة تخجل هذه الفتاة التي ترى « الشوارع لارض لها ، ارى رؤوس«الصحيح رؤوسا » بعضها صلعاء ، بعضها سوداء السقف ، شقراء السقف . كل الناس في المدينة مسقوفة رؤوسهم جيدا ، الافكار في سجنها دائما والامال مكورة في الداخل ، والعيون منخفضة نحو اسفل . » ؟

لسنا نفهم ايضا كيف تقول « .. مسكين محمود بك ، هل كان يحلم في حياته ان حوشه المدهون سيصبح مسكنا لصالح وعائلته .. كان طيبا اذ اوصى لابي ببيته وقطعانه ، واتفن ابي فيما بعد صنعة البيك ، فتملك اراضي جديدة .. و » ولم تكمل لان منيب لو تركها تفعل ،لسمعناها تسرد تاريخا مشوقا ، ولا شك ، لولا ان الكاتب انتبه ، بعد فوات الاوان الى تقرير رئيس مخفر الشرطة ، الذي يشبه ، الى حد ما ، حديثها هذا، فنفخ في منيب نفسا ليقاطعها .

ولسنا نفهم ، وقد يكون لاسفاف في تفكيرنا ، كيف تتحدث خديجة بعد بساطة : « وهل يمكنك ان تكون انت دربي ؟ دربي ، الى اين ؟ انا فقيرة . »ترى ما معنى ذلك ؟ وهذا الفقر خصوصا ! حبذا لو ان الكاتب ابتعد عن هذه الشاعرية والغموض وعمد الى البساطة . هل يمنع ذلك ان يكون عميقا في بساطته ؟ لا اظن .

ابطال المسرحية الثلاثة ، ابراهيم ومنيب وخديجة ، استقوا كلهم من نفس الكاتب وتشابهوا الى حد غريب . قد يكون ذلك لشاعرية الكاتب واغراقه فيها ، انظر مثلا ..

« خديجة : لاتغلق النافذة ، لااريد ، لا اريد ، احب ان اظل هكذا من بعيد على موت الشمس .. من هنا ، من هذه الغرفة العالية في الجبل اظل كذلك على موت المدينة .. اواه السقوف البيضاء ، والاشعة الصفراء ، وغمام الانفاس ، انفاس الشوارع المكتظة هناك حيث تنعقد فوق المدينة كغيمة زرقاء ، تمتص الضجيج ، تنجر قذارة الانفاس ، ولكنها تظل رابضة على صدر الساحات والشوارع السوداء . »

ومنيب : « اه انا لارى الا البشر ، الجبين المفضن ، والعيون المتعبة العليلة النظرات بالشك ، والافواه التي لاتنفتح الا عن اقبية .. فيهـا كل الوجوه معتق التنن .. من اين جبينك هذا ؟.. كيف يسطع ، كيف تقبل عيناك على الارض .. الارض المخيفة بمثل هذه البراءة ، من ايـن انت ؟ »

وابراهيم : « .. لست ادري من اين هبت هذه الرؤوس دفعـة واحدة ، من اية جحور سحبت عيونها المظلمة ، وتحلقت كلها حولي .. وتلك الالسنة .. لعنها الله . تلك الالسنة كانت كالسياط النحيلـة الحمراء ، تخرج من اقبية افواههم المنتنة .. وتلسعني ، تلتف حـول عنقي ، تنعقد في الهواء الف عقدة .. يتطاير سمها هنا وهناك .. »

الى جانب هذا التشابه في « قذارة الانفاس » و « الوجود المعتق المنتن » و « اقبية الافواه المنتنة » يتحرك الاشخاص ، كل بحيويـة دافقة خاصة ، حينا ، وعامة ، حينا اخر ، ويتراوح اسلوب الكاتب بين جفاف الفلسفة مرة ، واخرى بين التقريرية التي اضطر اليها لتوضيح بعض جوانب المسرحية . وعندما تتازم المسرحية ، وهي متازمة منـذ البداية ، يدخل المسرح اشخاص جدد ، أبى الكاتب الا ان يرميهم الـى زوايا الصفات التي الصقها بهم . حسين ، غاية في الخبث والحقارة ، لايتورع عن قتل خديجة في سبيل الا تضيع منه السندات . منصـور ، غاية في المكر والجشع ايضا . سعيد ، غاية في انعدام الشخصية . نهلة غاية في الانطلاق والطيبة . واذا عدنا الى الابطال الثلاثة الرئيسيين ، نرى بان السيد الكاتب ، في جفاف هذه الشخصيات الغير واقعية ، ارتكب اثما بحق المسرحية وابتعد كثيرا عن جو الفصل الاول الذي ، رغم بعض الماخذ مما ذكرنا ، يتنصب عمودا فقريا للمسرحية كان عليه ان يستند اليه في بناء باقي الفصول .

في النهاية ، لابد لي ان اتساءل كيف يعمد الكاتب الى مثل هذا الاسلوب ، الذي ان دل ، فعلى شيء من جفاف ادبي ، لعل الكاتب لـم يفطن له :

« ابراهيم : .. هيا قل !. ماذا حدث لك ؟ ام ان عينيك زائفتان.. انت لاترى شيئا .. يكاد ان يغمى عليك .. » لنتصور رجلا يحـدث اخر بهذا ! كيف يعلم انه لايرى شيئا ؟

ولا بد من الاشارة هنا ، الى اني لم اتحدث مطلقا عن جهد السيد الكاتب ، الملحوظ ، والذي يشكر عليه في كتابة هذه المسرحية . واعتقد ان الدكتور الصباغ تحدث مافيه الكفاية عن هذا الجانب . وان كان العمل النقدي يتطلب مني ذلك فاني اعتذر ، وكان بودي حقا لو قمـت به لولا اني ، في الحق ، اصبت بشيء من الخيبة ، اثر مطالعتي للفصلين الاخيرين .

وان كنت تحدثت ، سيدي الكاتب ، عن مساوىء هذه ، فانـي لارجو ان اتحدث عن حسنات مسرحية مقبلة في المرة القادمة .

أ ٠ ي

فـي البحـرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

مـن

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

مناقشة غير عنيفة

بقلم العفيف الاخضر

اعتذر اولا عن مناقشة مناقشة نشرت بالعدد السادس من الاداب بينما العدد التاسع يوشك ان يكون في ايدي القراء ، فمرد ذلك الـى احدى الضرورات القهرية التي لم تزل تحول بيني وبين قراءة الاداب في الابان .. وقد تصل الى حد حرماني منها .. رغم شعوري العميق بجدارة المهمة الفكرية التي تتحمل بها الاداب .. وضرورة قراءتها بلا انقطـاع لا لتشجيعها وحسب بل ليظل العربي متصلا بالفكر العربي الحديث في بداية البعث الحضاري للامة العربية الموهوبة .

ولكن التاخير قد لايعود لغير شعور نفسي بسلطان الزمن : مادامت القضية المطروحة قضية دائمة لاتفوت مع الوقت . ومن ثم فربما يصبـح الاحجام عن مناقشتها بقصد ارسال الاضواء عليها ، بقدر الامكان ، ليس الا تبريرا قبليا لتلك الرغبة الاخرى في الاستهتار والترك .. ايثارا للسلامة بالصمت .. وحبا في النسيان : هذه الرغبة التي تتولى الانسان كما الت به العوادي .. بالاخص منها مايعطي الوجود طعم العدم .. على ان هذا الشعور على حدته دخيل ، ولا شيء في الحق يمنعنا من ان نعمل مادمنا نملك الحد الادنى من القدرة على العمل الا الكسل المتستـر بعنوان او باخر .

مناسـبة

خصص باب « قضايا الادب والادباء » في العدد السادس لمناقشة ادبية حول : « الفلسفة الجوانية » دارت في القاهرة بين الدكتور عثمان امين والاستاذ الجنيدي خليفة .. ولقد تولاني انا الاخر شعور بالخيبة اذ كان مضمون المحاضرة فعلا لايتعدى ماأورده ـ ع.ع.ب ـ وان يكـن شعوري بالخيبة يتجاوز حدود المحاضرة والمحاضر كحدث نسبي جائـز الحدوث في كل مكان . ولكن ، مع الاسف ، المحاضر يمثل لاحالة فردية بل حالة«نموذجية» لبعض ذوي الالقاب الجامعية في كثير من اقاليم الوطن العربي : يقبلون على القضايا الكيانية الكبرى بنية خطيرة في تزييفهـا وتهوين ماليس بالهين فيها .والشر انهم كذلك بحكم القابهم و « شهرتهم» يضللون الكثير .. ويؤكدون ذلك الميل التلقائي الى السطحية تخلصـا من المعاناة واستنزاف الجهود تلك العملية الشرطية لحركة التقـدم البشري .

ولو حاولنا ان نعطي لهذه الفئة من الجامعيين اسما لكان : العدميـة الفكرية ، هذه العتة التي تدعم الجامعي ـ رغم الكم المعرفي ـ قوقعـة حلزون مفترس ـ هذا في نفسه ؟ اما بالنسبة للاخر الذي لم يكتشفه بعد فهو قدوة سوء .

فمن هو المثقف العدمي ؟ هو هذا النرجسي الجاعل من نفسه محور الوجود ونفسه تعني : شهواته .. ومطامعه وحتى نزواته السفلى .. يكفي هذا العدمي ان يتعرف امرا على حقيقته التي لم يكن ينتظرها حتى يستفز راميا بالبشرية الى اعماق الجحيم .. يكفي ان تنشر مجلة مقالا يخالف « فلسفته » حتى يحمل ذلك على محمل الاهانة . بل على محمل الخطر المحيق : خطر زحزحة المحور عن مكانه . ولكن حذار .. فالعدمي باعتباره مفكرا ضالا يصطنعه نفس المنهج الذي يتبعه المفكر الحق ، فاذا كان مطلوبا من المثقف ان يواجه نفسه ، مواجهة الصدق والروعة ،لتقويم وتقييم اسباب العطل والفاعلية معا . لينطلق نتيجة لهذه اللحظة النقدية في عملية البناء التصاعدي للحضارة في شتى ابعادها ، فالعدمي بدوره لايتاخر عن اتمام هذه المواجهة الاساسية ولكنها تتقيد بالمقلوب : حيث لايواجه وجوده وانما يواجه « جثته » ومنها ينطلق في نشر الاوبئـة

الذهنية بين قرائه غير المكتشفين للخدعة . والعدمية على تنوع مظاهرها تنبع من مستنقع واحد ماؤه حميم ، هو تحطم باطن انسان على ظاهره.

والامثلة على هذه العدمية عديدة .. وحسبي ان اورد منها عينية او اثنتين : فلكل قارىء بعد ذلك ان يكتشفها بجهده الخاص اني التقى بها .. غير مخدوع بعنوان وغير منوم بشهرة :

من شهور قرات مقالا للعقاد .. استنسخته عن مجلة مصرية صحيفة تونسية واسعة الرواج ، خصصه ـ الكاتب الكبير ـ لحل مشكلة القلق الوجودي الذي يحتفر الهوى في اعماق الانسان المعاصر ، انسان مابعد حربين كونيتين .. وقبيل حرب نووية ثالثة ان لم تدمره اهوالها بعد .. فقد دمرت اعصابه بالخوف والانتظار .. اما العقاد ـ العدمي ـ فيقدم لنا هذا الشريط الفاجع تقديما مفتعلا : فاذا هذا القلق العميق.. العميق ليس غير ازمة دينية تلقى حلها السعيد بالاستماع الى الاذان في هداة الليل .. والصلاة : ليس بينا وبين زوالها الا ان نجرب ركعات .. وعلى هذا النحو يسطح العدميون المشاكل الجذرية مضللين الانسانية بما يقدمونه من حلول وتشخيص مضلل .

عينية اخرى .. مصدرها كذلك كاتب جدي هو توفيق الحكيم متحدثا عن واجبات الكاتب : الذي لايستطيع في هذا العصر ان يصم اذنيه عن طلبات جمهوره « المستيقظ : متعفي وسليني » : اذا من وظيفة الكاتب ان يسلي!!والثقافة بالتالي«حشيش»وخدر ! لا.جمهورنا ابكم، ولو كلمنا وعيه الغائم لقال:وترني..وقض مضجعي.ولكنها العدمية..المزيفة.. لعبتها لجم المطايا من الذيول .. وتحويل الفكر والحياة نفسها الى مجرد لعبة وعملية الهاء .

وجه آخر للعدمية وهو هذه « الانعزالية » واعني بها الامتناك الفعلي عن النضال ضد كل تهديم للنوع واجتراء على القيم الاساسية في الحياة . مثلا ، وراء حدود عالمنا العربي ، نرى رسل الفيلسوف المجاهد منذ شبابه : رافضا التجند في الحرب لانه لا يؤمن بها . وبرغم السجن والامتهان .. وبيعه مكتبته ـ اعز ما يمتلك ـ لاستيفاء الغرامة المرهقة.. فانه لا يهن . ولا يستعطف .. بل يرى في الامر تشجيعا له .. وتوكيدا لايمانه العميق بالسلام . ومنذ أقل من عام خرج الفيلسوف العجوز في قيادة تظاهر شعبي ضد التسلح .. وتحضير الحرب الثالثة . فاعتقل.. وأدين .. ثم بارح السجن ليستانف التظاهر والعصيان المدني وعمره ٨٩ عاما ... وما يزال صوته الرائع يلقى تعاطفا اعمق من كل تعاطف في كل قلب يؤمن بالانسان .

وهذا سارتر : الكاتب المقدس للحرية .. في سبيلها الغى الله حتى تظل الحرية هي المصون . ها هي الحرية تقتلها حكومة بلده في الجزائر .. ويقتلها الرأسمال والحكم الانتهازي في كوبا ، فما هو موقف كاتب الحرية ؟ أيكتفي بدفن الكلمات في أكفان من الورق ، والكتابة من أعلى الشرفات أم يهبط الى دوار المعمعة .. مراهنا بحياته ؟ وذلك ما فعل .

هدمت شقته بالقنابل فأعلن من الفداة تشكيل جامعة تضم المفكرين الاحرار للرد على العنف بالعنف ، ومواجهة الحكومة المتواطئة مع الاجرام . وصودرت بعض اثاره لما تتضمنه من نضال شريف ضد ابادة الشعوب بالجملة .. فسعى بوسائله الخاصة لنشرها خارج حدود فرنسا . وحرمت حكومته استعمال اسمه او صورته في الاذاعة والتلفزة فلم يزده ذلك الا مضيا . وايمانه لم تزده التهديدات بالموت .. والمضايقات الحكومية الا تعمقا واصالة . والامر كما قال هو نفسه : لكي نعرف قيمة الحياة نعرضها للاخطار من حين لحين !.

هذا التعرض الاختياري للتعذيب .. ومواجهة الشر والعنف بكل بطولة هو المناضلة التي لم يخل منها تاريخ الانسان قديما وحديثا . بل انها حميم هذا التاريخ . وفي امتنا العربية امثلة ملهمة . فمالك بعرض نفسه للجلد لمدافعة حاكم جائر : « يستهون أقدار خلق الله » وبشار يموت تحت السياط لانه شهر بخليفة الله بين الزق والعود .. يتحكم في رقاب واموال شعب برمته . والعربي منذ عرفه التاريخ ... عرفه مجترئا على الموت عندما يجب الاجتراء عليه .

اما اليوم فمسالة بل محالفة الطغيان هي القاعدة ـ وكثيرا من الكتاب لا يتورعون عن انتهاك الحرمات بالذات التي زعموا انهم كرسوا حياتهم لصيانتها .. و « هم » على استعداد لبيع « المبادىء » و « الفلسفات » بالدولار أو الروبل .. كلما واتتهم فرصة رابحة ... لماذا ؟ الزعم بأن ذلك جبلة عربية زعم مردود بشواهد التاريخ كالزعم بسديمية اللغة الغربية الخ . المزاعم والمفتريات . والخلل وراثة استعمارية .. زال الاستعمار بشكله المسلح من بعض ارضنا .. ولكن مخلفاته لم تزل باقية.. وقد أحكم فنيوه طبعها في نفس الانسان العربي الناشىء الذي كان يؤم مدارسهم فيحضرونه ليلعب فيما بعد دور العميل او أي دور يعرض عليه لقاء مال . والتشهير بهذه الرواتب يشكل جزءا من مهمة كل كاتب مسؤول .

الوصاية اللغوية

على ان الوراثة الاستعمارية لم تقف عند حد . ولم تزل تتجلى في اكثر من ميدان وباكثر من وجه، ففي المناقشة العنيفة ـ لاحظت كلمات فرنسية ترجمة لمقابلها العربي بالتأجيل كالدور والتسلسل cercle Vicieuse كالاسميين Les nominatistes والايجابيين Les positivistes ولقد لفت انتباهي بوجه خاص خطأ ثقيل هو Vicieuse نعتا للفظ Cercle والنعت في كل لغة من لغات البشر يتبعه المنعوت تذكيرا او تأنيثا ..الخ فمن ذا الذي اتى Cercle لا اظنه الاستاذ المناقش وهو قد نشر حتى في بعض المجلات الفرنسية ـ ومهما يكن فالمسؤولية يتحملها غير منفوصة « الاستاذ » المتخفي بـ ع.ع الا ان تكون سبق لسان او زلةقلم او خطأ مطبعيا الخ . الاحترازات . وعندئذ فحسبي انني اصلحت خطأ وتنبهت اليه .

والحق أني لم أقحم نفسي لمجرد التنبيه الى خطأ في لغة يحترمها متكلموها ويحرصون على سلامتها بالجهد الصادق والتفاني المثالي ... وانما وجدتها مناسبة للتعبير عن رأي لم يفتأ يخالطني كلمات قرات شيئا بالعربية موضوعا ومترجما وهي اثبات المقابل الاجنبي ـ واحيانا المعاكس ـ لالفاظ غربية خالصة لا تحتاج الى فرنجة كالدور والتسلسل ولالفاظ واردة بالترجمة شاعت وذاعت على كل لسان كالاسميين والايجابيين والوجوديين .. واهتمامي هذه المرة ايضا غير منصب على حالات فردية بل على حالات نموذجية .. ذلك ان بعض العارفين باللغات الاجنبية يتورطون في هذا العبث لغير ضرورة ولغير حكمه . فمثلا في كتاب : تأملات وجُودية » (١) للاستاذ ذكريا ابراهيم يصادف القارىء اثباتات للمقابل الافرنجي لكلمات عربية لا تحتاج الى اي وصاية كالحب . والصداقة . والشيخوخة . بينما في الكتاب كلمات اخرى اولى باثبات اصولها الاجنبية في منطق اللامنطق هذا . مثل الصيرورة .. والديمومة والخلو Vacoum بمعنى الفراغ المطلق او الغياب الكلي للحركة . ومع ذلك فالكاتب لا يفعل .

فهذه الظاهرة ان يكن لها من دلالة اخرى غير التظاهر الصبياني بمعرفة هذه اللغة او تلك ، فهي التشكيك في جدارة اللغة العربية .. بدرجة انها ـ كحرف الجر فيها ـ لا تدل على معنى في نفسها الا اذا نصب لها وصي عليها من اللغى الاجنبية المعتمدة .

---

(١) تكرم الاستاذ ص العلويني فارسل الي هذا الكتاب من لبنان في احوال عصيبة كنت فيها معزولا كليا عن العالم الخارجي .. وكنت أتأمل الموت .

مزيـدا من الجهـد

والحق ان الحديث في مسالة ازدواجية الكتابة .. اعقد من ان تهون بالاشارة العابرة .. لانها في الفترة الحالية من تكون الفكر العربي تطرح علينا مشكلة .. جدية تطلب الحل والانضاج ، ذلك ان كل عصر احياء حضاري يمتاز بظاهرتين مثلازمتين هما : الرجوع الى الجذور البعيدة في ماضي الامة المستيقظ .. والتفتح المبدع على العطاء الحضـــاري العالمي ولذا كانت ترجمة الاثار العربية واليونانية الى اللغات الاوربية في بداية عصر النهضة الى جانب العود الى النبع في اعماق تاريخ اروبا الناهضة ظاهرة ملحوظة ـ وتكاد تكون شرطية في كل حركة بعث .. ونحن اليوم في عصر الاحياء العربي نحيا تقريبا نفس الشيء .. من طبـــع للذخائـر العربية القديمة وترجمة لبعض روائع الفكر العالمي .

وان كنا لم نزل بعد في بداية المهمتين العظيمتين فلم تزل الوف من المخطوطات العربية لم تنشر بعد وهي ضائعة بين مكتبات العالـم او المدخرات الشخصية .. اما في ميدان الترجمة فالشوط المقطـوع مشجع ـ كما وكيفا ـ وان يكن يعاني من عثار وعطل ساحاول ان احيط به بكل سرعة ـ في الاسطر التالية :

ا ـ من حيث الكم : بينما تنتشر ترجمة القصص والروايات والكتابات الخفيفة حتى المعطل منها من كل قيمة تبرد نشره . تبقى امهات الآثار مجهولة من الشباب العربي الذي لم يتمكن من لغاتها . وحاجـة الكاتب العربي في مرحلة التكون اشد الى هذه الوصول الفكرية الثرية منـه الى سواها . وهي لنا كما هي في اللغات المكتوبة بها ـ ارضيـه ـ Plate - forme الانطلاق في كل نشاط تاسيسي هادف لما تزخـر به من اطلالات شاملة على حركة التاريخ . ومنطق فلسفي مستوعب يحمي الذهن من التبدد في فضاء فكري بلا ابعاد . وقد تعود قلة الاهتمام بترجمة هذه الاثار الى صعوبتها . وانعدام القواميس المختصة في القرية . والروح التجارية التي تهيمن على اكثـر دور النشر . ومســـؤوليات وزارات الثقافة في الدول العربية ثقيلة في هذا الصدد . ولعله كـان افيد لبعض رؤساء اقسام الفلسفة بالجامعات العربية لو وجهوا جهـودهم في هذا السبيل .. عوضا من التمحل .. والتفلسف الزائف .

ب ـ من حيث الكيف اي حظوظ الترجمة من التجويد والضحالة .. وبعض المتسرعين يرون ان الرداءة هي الغالبة .. ومن ثم يقولـون باستحالة الترجمة جملة وبالاخص لبعض الاثار الجمالية .. ويكفي لرد هذا الزعم : بان لا شيء يسهل ولا شيء بمستحيل على الجهد الصبور. ولماذا تمكن الترجمة من الانكليزية الى الفرنسية و « تستحيل » في العربية وهي ـ بحمد الله ـ متفتحة لم تفقد ـ ومع عنايتنا بها ـ لن تفقـد قدرتها الفاتحة على الهضم والتوليد

ولكن دحض ذهان Psychose (١) الاستحالة لا يعني غياب المشكلة التي لحلها لا بد ان ننظر لها بموضوعية بلا تهوين ولا تهويـل كذلك . ملاحظين بان الترجمة ليست عملية نقل بل هي ضرب مـن اعادة الخلق العسير .. بالاخص مع غياب المراجع اللغوية المختصـة في العربية ، حيث على ما اعلم ـ لا وجود لقاموس فرنسي عـربي ـ مثلا ـ الا لمعجم الاب بيلو وهو مشحون بالاخطاء..وترجمة «اللفظ» احيانا بسطر..واغفاله التام لمعظم المصطلحات التي تشكل وحدها الصعوبة الكبرى .. بدرجة يصبح معها الاستغناء عنه افضل من التعويل عيه .

والمآخذ على حركة الترجمة تقريبا هي التالية :

الحرفية ـ سواء فيما يتعلق ببناء الجملة : حيث غالبا ما تنقل كما خلقت في لغتها الاصلية نقلا تصويريا .. يفوت معه احياؤها البيانـي وبالاخص دلالتها الاساسية في العربية ـ وكذلك فيما يتعلق باللفـظ حيث يترجم احيانا بسطر ... واحيانا بجملة مع عدم اداء مدلولـه الخاص مع ذلك . وعوض ان يواجه الكتاب هذه العثرات بروح ايجابية للتعاون على اجتنابها .. فالعكس هو الواقع .. مما يكاد يذهب بكـل فاعلية منتظرة من هذا العمل التاسيسي الحيوي .. ببث الشكوك. وصرف القراء عـن المترجمات بغير تعله وغير ذهان : غيـر العناديـة والرغبة المريضة في المماحكة والاشتهار مع ان الشرط الاولي لفعاليـة الفكر هو رفضه الكلي لمنطق الشهرة والتهريج .. وابتعاده التام عـن التعويق . والهدم للهدم .

المظهـرية

ولكن مع الاسف ، هذا الاتجاه المريض هو السائد . فمن زمـن قرات في مجلة الفكر التونسية مقالا يحتل منها الصدارة في موضـوع فلسفي كرسه الكاتب « المتبرز » للتشهير بالترجمة « الشرقية » التي منها كتابة (سارتر) وفي اجتهاده يكتب (صارتر) الخ الاسماء المعروفة ولفظ Absurde لا تترجم بالعبث بل بالمحال الا ان « مفكرا » (٢) اخر يطلع حديثا باجتهاد جديد وهو ـ استحالة ـ ايجاد مقابل للفـظ الفرنسي Absurde وانما ترجمته تكون هكذا : « الطفل يتمرغ على الرمل » وهذه العينيات ليست فردية بل « نموذجية » هي الاخرى وهي بالمهاترات اشبه . ودلالتها النفسية خطيرة : اذ هي في جوهـرها

(١) ـ لقد اثبت هنا المقابل الاجنبي لان اللفظ الفرنسي ترجم اكثـر من مرة بمقابلات في العربية اظـن انها لا تؤدي معناه : ومنها ما اذكـر في احدى اعداد مجلة علم النفس التكاملي حيث ترجمه الدكتور يوسف مراد بالالتيات العقلي ويظهر لي انها ابعد ما تكون عن معنى Psychose الذي هو مرض ـ يخيل وجود اللاوجود ـ والتبات العقلي يقابلها L'aliénation mentale

(١) الاستاذ محجوب بن ميلاد المبرز في الفلسفة وعلم النفس في محاضرة له بالاذاعة العربية من تونس حديثا .

مجموعة قصص اجتماعية

قصص من صميم مجتمعنا العربي

صدر منها		ق.ل
١ ـ الصبي الاعرج	بقلم : توفيق يوسف عواد	٢٥٠
٢ ـ قميص الصوف	بقلم توفيق يوسف عواد	٢٠٠
٣ ـ الرغيف	بقلم : توفيق يوسف عواد	٤٠٠
٤ ـ دمعة صلاح الدين	بقلم : خليـل الهنداوي	١٧٥
٥ ـ حكايات لبنانية	بقلم : كرم البستاني	٤٠٠

مؤلفات جبران خليل جبران

صدر منها :	ق.ل
١ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية	١١٠٠
٢ ـ الارواح المتمردة	١٥٠
٣ ـ الاجنحة المتكسرة	١٢٥
٤ ـ دمعة وابتسامة	٢٠٠
٥ ـ العواصف	٢٠٠
٦ ـ البدائع والطرائف	٢٠٠

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

تنصل غير شريف من مسؤولية العمل البناء ، وتعويض بالتدلي لتلك الصبوة العارمة الى الاضافة .. ونيل ما لم ينل بعد .. وهي من الوجهة التاريخية امتداد لروح المجادلات الصاخبة التي كانت تدور بين الفقهاء في عصور تهافت الثقافة العربية .. والتي كان منتظرا ان تنتهي مع اخر رواسبها في مهاترات شكيب ارسلان والرافعي : حول : ايهما اشد عروبة ـ مسرح ـ ام مرسح ؟ الخ .. وهي اليوم على يد « الملقين » تطلع بوجه جديد .. ولكنه اشد خطرا لانه وجهة سالبة لا تتوخى غير النفي والتشكيك .. حيث اصبح النفي ـ في عصر المكنات ـ تعطيلا من كل ايمان بالله . والانسان . والحياة .

وتعليل هذه الاعراض المرضية في الفكر العربي المعاصر على اختلاف بينها في الظاهر يرجع الى المظهرية ـ التي تحيل الكتابة الى وسيلة لتوكيد الذات والتهافت الذبابي على الشهرة لكسب المواقع والظفر بتصفيق المتفرجين . ولكن عندما يتخلى الكاتب عن الجد والصدق الفكري فانما يتخلى جوهريا عن انبل واخصب ما فيه .. ولن يبقى منه ككاتب بل كانسان الا جثة لم تدفن بعد .

ورأيي في حل مشكلة الترجمة يتلخص في اجتناب الحرفية التي يفوت معها المعنى في العربية .. فيصبح الاثر المترجم لغزا . وذلك بالعمل على صعيدين فردي وجماعي الاول يتمثل في الاجتهاد الخاص ـ بلا تقعر ـ عند انعدام سابق محاولة جدية . وفي هذه الحال يستحسن اثبات المقابل الاجنبي مع ايضاح هامشي عند اللزوم . وكتابة ثبت بالكلمات والمصطلحات عقب كل كتاب ـ اوبحث مترجم .

اما العمل الجماعي ـ وهو ضروري ـ فيشمل اولا التعاون على ترجمة الاثار وحتى البحوث القصيرة .. ومراجعتها من المختصين . وثانيا ترجمة القواميس الاختصاصية من ادبية وفلسفية وعلمية واشتقاقية .. وهو عمل وصولي للتعجيل باصدار قواميس مختصة في اللغة العربية مباشرة . وانه لمخجل في مرحلة الاحياء ان نتهاون بهذا المجهود الشرطي لسلامة انطلاقتنا الشمولية وثورتنا البانية ضد كل استنقاع في اوضاعنا الموروثة . او متاعبنا المستوردة . وتدخل الدولة المسؤولة في هذا الميدان فرض وواجب .. اذا ان المهمة فوق طاقة الفرد العادي .. واني لاتوجه هنا الى كل حاكم عربي القلب والعقيدة .. يهمه ان نعيش ـ فكريا ـ في مستوى عصرنا ، ليعمل على رعاية هذا المشروع .

والى هذين المجهودين : الفردي والجماعي هناك دور بارز للصحافة والقراء في تصويب بعض ما قد يتراءى لهم من انحراف فيما يقرأونه من مترجمات او موضوعات .. واني هنا اراها مناسبة للتشديد باتجاه خطير .. خطورة الانحرافات السابقة وهو عزوف بعض الملمين باللغات الاجنبية عن قراءة الاثار المترجمة .. بتعلة التفرغ اليها في اصولها .. وقد لا يكون هذا الزعم الا ذريعة ... وعلى افتراض تصديقهم فقراءة المترجمات في مصادرها لا تغني عن معاودتها مترجمة ، على الاقل ، بنية الوقوف على جهود المترجم في نقل الاثر للاخ ـ الاخر ـ الذي لا يقدر على الاطلاع عليها بدون وسيط .

وبالنسبة لكاتب هذه السطور فلا حرج مطلقا في قراءة المترجمات حتى ولو سبقت قراءة اصولها احيانا اكثر من مرة .. ومن خلال هذه العملية استطاع ان يساهم ـ بتواضع ـ طبعا في تحضير ثبت جاهز للنشر لتصويب بعض اجتهادات شخصية لكثير من المترجمين مثل Vulnérable في سياق هذه الجملة : ـ والجيش الالماني ـ قابل للانجراح ـ والترجمة الاوفق للكلمة هي ـ متستهدف ـ وفي العربية : استهدف تعرض للاخطار .. والعطب ومن نحو هذه الجملة الاخرى : ـ كمروض ـ الحيوانات الشقر ـ ولا شك ان المترجمة المجدة ترجمتها حرفيا عن Les bêtes fauves وترجمتها كما ارى ـ الاوابد ـ وهي الحيوانات العداءة ـ الشرود من نحو الايل والظباء والوعول .. وتحري المترجم مرغوب . ليفهم القاري المعنى بلا لبس . وحتى لا تستفحل العجمة او حب القرابة . ولا بأس على المترجم عندما يبلغ اجتهاده مستواه بلا عائدة في الظفر بمقابل عربي مضبوط .. ومختصر ـ ان يعرب الكلمة لا ان يترجمها ـ والامر لا يطبق في الحالات السابقة ـ واللفات الحية كلها تفعل .. ولا تشح بمنح الجنسية لكل مرغوب فيه .. وكم في اللغة الفرنسية من الفاظ المانية وانكليزية وعربية ـ مفرنسة ـ

مسؤولية الكاتب

هذه بعض ملاحظات على وجازتها حاولت ان تكون مركزة على لبوب القضايا ـ الام . والكاتب العربي بحكم وظيفته في الحياة هو المسؤول الاول ، ان لم يكن الوحيد ، عن المساهمة الجادة في حلها ... بشرط ان يظل مقالا ضروريا ومفيدا في هذه الحياة القصيرة ... والمهددة بالانطفاء المباغت .. دون ما استهتار بالزمن في الشجار العقيم الذي يستفحل في غياب كل حضور احيل للفكر الموضوعي الذي لا يبالي ان يظهر الحق على يديه او على يدي ـ خصمه ـ حسب الفعل . ودعوة الناس الى ان يفكروا فيما لم يفكروا فيه بعد . طالما كل مجهود انساني ، بطبعه ، غير مكتمل وانما ينزع دائما نحو الاكتمال الممكن والذي لا يستطاع حتى التنبؤ به

فاذا تخلى الكاتب عن الولاء للقيمة .. فقد تخلى عن رسالته . اذ المناقشات و «المعارك» بقصد المضايقة او بقصد من هذا القبيل مخسورة سلفا . والانتصار الحقيقي انما هو في تلك المحاولة الصادقة لدرس حقائق الأمور والتعبير عنها لتغيير الواقع او شيء منه .

فرنسا — العفيف الاخضر

صدر حديثا :

عيناك قدري

قصص

بقلم غادة السمان

الثمن ٣ ل.ل — منشورات دار الاداب